فتح الله الحميد المجيد
في
شرح كتاب التوحيد

تأليف

العلامة حامد بن محمد بن حسن بن محسن

من علماء الشارقة

في أول القرن الثالث عشر

حققه وعلق عليه

بكر بن عبد الله أبو زيد

دار المؤيد

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

لأول مرة يطبع بعد عام ١٣١٧هـ.

دار المؤيد

للنشر والتوزيع

جـدة : ٦٦١٤٢٤١

أبهـا : ٢٢٦١٩٧٥

الطائف : ٧٣٢١٨٥١

الادارة العامة - الرياض

هاتف: ٤٠٢٥١٩٧ - ٤٠٣١٣٧٧

فاكس: ٤٠٢٢٦١٥

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾. [النساء: ٥٩]. فبان من منطوق الآية فرضية الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله بعد وفاته ﷺ، وبان من مفهوم الآية عدم إيمان مَنْ لَمْ يَرِدِ الأمر عند التنازع إلى كتاب الله وسنة رسوله، فإذا وُزِنَ الأمر المُنَازَعُ فيه بِميزان الوحيين، فما وافقهما فهو القِسْطُ الذي أمر الله به، وهو الحق، وما خالفهما فهو الباطل، والضلال، قال تعالى: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾. [يونس: ٣٢].

ولَمَّا غفل أكثر الناس عن كتابه، وسنة رسوله، وتدبر ما فيهما من الحِكَم والمعاني، ولم يتبعوهما كما هما، بل ونَقَصُوا، وغَيَّرُوا، وبَدَّلُوا، وقَدَّمُوا وأَخَّرُوا، ومضى على ذلك سنين عديدة، ومدة مديدة، واعتادوا عليه أباً وجدًّا، فحينئذ صعب عليهم الالتفات إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لما ذُكِّرُوا بهما، وحُضُّوا على الرجوع إليهما عند التنازع لما رأوا من غربة ما في الكتاب والسنة لما بينهم؛ لمخالفتهم الكتاب والسنة في أكثر الأمور قصداً وفعلاً وقولاً، وذلك مصداق قول الرسول الصادق المصدوق «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء قيل: من الغرباء؟ قال: الذين يصلحون ما أفسد الناس**»[1]. وقال ﷺ: «**يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدي، علماؤهم شر من تحت أديم السماء، منهم تخرج الفتنة وفيهم تعود**». الحديث رواه علي بن أبي طالب رضي الله

(١) أخرجه مسلم (١٤٥) إلى قوله: فطوبى للغرباء. ورواه أحمد (٤/٧٣) بتمامه من حديث عبدالرحمن بن حسنة.

عنه[1]، كيف لا وقد آن في هذا الزمان ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾. [المائدة: ١٠٤]. فجعلوا حجة صحة ما هم عليه من مخالفة الكتاب والسنة فعل آبائهم ولو طلب منهم برهاناً أو حجة لم يأتوا بغير هذا، كما قال تعالى: ﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾. [الزخرف: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾. [الزخرف: ٢٣]. يخبر تعالى رسوله ويسليه أن كل قوم قالوا لنبيهم هذا المقال، فلا تعجب من قومك في هذا ولكن العجب كل العجب من ناس يدعون الإيمان بالله والكتاب واليوم الآخر وهم كاذبون، قال تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾. [البقرة: ٩]. وذلك لأنهم لو كانوا صادقين في الإيمان لقدموا أمر الله ورسوله على غيرهما، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾. [الحجرات: ١].

قال البيضاوي وغيره من المفسرين: المعنى: لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكما به، فإذا كان هذا أمر الله، فكيف يتصور ويسوغ التشريع بما لم يأذن به الله ورسوله؟ وقد قال تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم

---

(١) أخرجه الديلمي في «مسنده» (١/١٠٧) بإسناد ضعيف جداً. وانظر «السلسلة الضعيفة» للألباني (١٩٣٦).